مُناقشَات

حول الادب والاقتصاد

بقلم جورج طرابيشي

هناك قضية مهمة جداً (١) ، يدور حولها الفلاسفة والمفكرون ، وتستأثر بمناقشات طويلة عديدة ، وهي قضية الفعاليات البشرية . أهناك سبب واحد انبثقت عنه جميع مشاكل الأنسان أم أن اسباباً كثيرة ولدت واقع الإنسانية الحاضرة ؟ وبمعنى آخر نقول : ما الذي يدفع الأنسان ويحدد واقعه ويؤثر في مجتمعه ، أعامل واحد أم عدة عوامل مجتمعة ؟ لقد احتدم الجدل حول هذه المسألة ، فوقف المثاليون من جهة يقولون بسبق الفكر على المادة ، ووقف الماديون من جهة أخرى يقولون ان الفكر ينبثق من المادة . وهذان الرأيان في الحقيقة ينطلقان من نقطة واحدة وإن اتجه كل منهما الى جهة معاكسة تماماً . وبين هذين الطرفين وقفت الواقعية لتقول كلمتها الحاسمة في الموضوع ، يساندها في ذلك علم الاجتماع : ان وحدوية العلة في الواقع الأنساني خرافة لا صحة لها . فالفكر ينبثق في الحقيقة من الواقع – وهذا ما لا يرضى به المثاليون ولكنه يتجاوز هذا الواقع ليبني آخر أفضل منه ، وهذا ما لا يرضى عنه الماديون .

يقول الأستاذ الشوباشي في مقاله « بين الأدب والاقتصاد (١) : « ان الواقعية تقرر سبق الواقع المادي على الفكر . وتقرر كذلك أن له وجوداً خارج الفكر مستقلا عنه ومنعكساً عليه ، بعكس الفلسفة المثالية التي ترى ان الوجود المادي الذي نتمثله لا يقوم الا داخل ذهن الانسان ، أي أن الصور المنطبقة في ذهننا عنه هي الحقائق التي نؤمن بها دون أن يستتبع ذلك مطابقتها للأصل الواقعي الذي لا يمكن الوقوف على حقيقته ، وبناء عليه يكون البحث عن الحقيقة داخل الذهن لا خارجه » . وهنا لا يمكننا الا ان نتساءل : لماذا هذا الفصل بين العالم الخارجي والعالم الذاتي ؟ حقاً ان الوجود المادي له كيان موضعي سابق على وجود الأنسان ولكنه غير منفصل – كما يقول الكاتب – عن الانسان وعالمه الذاتي . اننا لا ندرك وجود العالم الخارجي الا عن طريق ذاتنا . وقد حدث مثل هذا الفصل في علم النفس إذ نادى البعض بالمذهب الوضعي والبعض الآخر بالمذهب الاستبطاني ، مع انهم – بقليل من الوعي – يدركون أن كلا المنهجين يكمل بعضهما البعض ، وان العالم الخارجي لا ينفصل عن العالم الذاتي للفرد ، وان البحث عن الحقيقة يكون في داخل الذهن وخارجه في الوقت نفسه

وبعد ، ما هو العامل أو العوامل التي تحدد واقع الأنسانية الفكري والفني ؟ ان الأستاذ الشوباشي يرى أن « كل مجتمع مكون من قاعدة سفلية هي عبارة عن وضعه الإقتصادي ، ومن صرح علوي هو معتقدات ذلك المجتمع ومثله الفكرية وفنونه وآدابه . وأن الصرح العلوي يساير القاعدة في تطورها ، تتحدد معالمه في النهاية بها ، بعد تأثره بها وتأثيره فيها على التوالي » . اذن فهو يرى أن العلة هي الوضع الاقتصادي ، اما المعلول فهو مجموع المعتقدات والفنون والآداب ، وبمعنى آخر إنه يعلل عالم الأنسان الفكري بالاقتصاد . وهذا الرأي ليس بالغريب عنا اليوم ، فهناك الكثيرون ممن استهوتهم هذه المدرسة الفلسفية الاقتصادية وأخذوا بما فيها من حتمية تقضي على القلق الذي يعتمل في صدورهم وتنقذهم من هذه الاسئلة المحيرة التي لا جواب لها : من أنا ؟ ومن أين أنا ؟ ولماذا أنا كائن ؟ وماذا أريد أن أكون ؟ وما قيمتي كفرد في هذه المجموعة الانسانية ؟

إن أول ما يستوقفنا في هذه النظرة هو الحتمية ، فمواضعات الواقع الاقتصادي لا بد أن تسير الواقع الفكري ، فينفعل بها ويجانسها ويساير ها ولا يستطيع الا أن يطابقها . فالواقع الفكري والفني – في مفهوم الأستاذ الشوباشي – اسير للواقع الاقتصادي ، فإذا جمد الاقتصاد جمد الفكر واذا تطور الأقتصاد تطور الفكر . انه يجعل من الفكر آلة ميكانيكية تزداد سرعتها اذا ازداد احتراق النفط الذي تستهلكه . فالانتاج الفكري الفلاني أبدع لأن تطوراً طرأ على الواقع الأقتصادي ، فهو معلول أبداً ولا يستطيع أن يكون علة ابداً . ولكن قبل أن ننطلق في حديثنا عن الأقتصاد وعلاقته بالأدب يحق لنا أن نتساءل عن مدى صحة الحتمية وقانون السببية .

يقول الدكتور عبد الرحمن مرحبا – وهو من الموثوق بهم في القضايا العلمية – في مقال له عن « ازمة الحتمية في العلوم الحديثة (١) » ان : « قانون السببية قد اخذت الثقة تتزعزع به اليوم ، فجعل ينازعه قانون آخر هو قانون الاحتمال ، ولا سيما في المملكة الدنيا : مملكة ما تحت الذرات . إذ ظهر للعلماء أن الأشياء على هذا الصعيد لا تخضع لقانون العلة والمعلول ، وأن الفوضى ضاربة اطنابها فيه » .

« ومن ثم بدأت فكرة الإحتمال تلفت اليها الأنظار ، ويشتد ساعدها ، ليس في العالم على الصعيد الأدنى فحسب ، بل وعلى الصعيد الأعلى أيضاً ، أي في عالمنا نحن ، عالم المحسوسات العيانية . وعلى هذا النحو وجد العلماء أنفسهم أمام قانونين أثنين : قانون الأحتمال وقانون السببية فربطوا بينهما . ولا غرو في ذلك : فالصلة بينهما وثيقة ، بل أن مبدأ العلية (او السببية) فرض أجوف اذا لم يضف اليه مبدأ الأحتمال » .

« والخلاصة أن المستقبل لا يمكن التنبؤ به بالضبط كما كانت تزعم الحتمية التي تشبه سير الأشياء بسير الساعة ، وانما هو شبيه بسير اوراق اللعب فكل خطوة نحو المستقبل تقابل استفتاحة جديدة في لعب النرد . وهذا القول ليس ناشئاً عن عجز الأنسان عن تعرف حقائق الأشياء بل عما توحي به حقائق الأشياء القصوى ذاتها » .

وهكذا ترى ان قانون الحتمية قد تناوله الشك حتى في العلوم الميكانيكية والرياضة التي تكاد لا تخطىء ، فكيف يكون الأمر في العلوم الانسانية والآداب والفنون التي يكثر فيها الأخذ والرد ؟

لقد حاول الكثيرون قبل الأستاذ الشوباشي وسيحاولون ان يقولوا بوحدوية العلة في تكوين الأوضاع الثقافية والأجتماعية والسياسية والدينية والأقتصادية ، ففرويد مثلا أرجع جميع مظاهر السلوك الانساني الى منطقة اللاشعور العقلي حيث تسيطر الغريزة الجنسية ، و ت . س . اليوت قال بأن الدين هو العامل الأساسي في تكوين الثقافة ، وقال البعض بأن الأرض هي العامل الأساسي في نشوء الأمم ، وزعم هيجل والفلاسفة المثاليون أن الفكرة

(١) راجع العدد الثامن من مجلة الآداب – السنة الرابعة .

(١) راجع العدد الثاني عشر من الآداب – السنة الثالثة .

هي التي طورت الجماد وخلقت النبات فالحيوان فالأنسان . ولكن هؤلاء جميعاً أخطأوا ، لماذا ؟ لأنهم ارجعوا فعاليات انسانية هائلة الى علة واحدة. وفي الحقيقة أن موقف الأستاذ الشوباشي الذي قال – كما قال ماركس من قبل – بأن الأقتصاد هو العامل الرئيسي الوحيد في الثقافة لا يقل رجعية عن موقف ت. س اليوت الذي قال بأن الدين هو الذي كون الثقافات . وقد يكون الأقتصاد مهماً ، ومهماً جداً ، الا أن هذا لا يعني أن الثقافة نتاج اقتصادي .

يقول الأستاذ محمود أمين العالم ، وهو من الذين تدين لهم الواقعية بالشيء الكثير : « ليست العوامل الأقتصادية أساساً فريداً للثقافة ، وإن تكن جانباً حاسماً من جوانب العملية الأجتماعية فنحن لا نستطيع أن نحكم على عمل فني أو قصيدة شعرية أو نظرية فلسفية ، بأن نردها الى عامل اقتصادي معين ، لأن هذا العامل لا يمكن أن يكون علة مباشرة لهذا العمل او ذاك . وانما هو فحسب عامل حاسم موجه من العوامل المتفاعلة في العملية الأجتماعية التي تعد وحدها اساساً لهذا التعبير الفني او الأدبي او الفلسفي » .

« الثقافة إذن لا تقوم على اساس ثابت محدد ، وانما هي محصلة لعملية متعددة العوامل ، يقوم بها المجتمع بكافة فئاته ومختلف وسائله . والثقافة ترتبط بهذه العملية المتفاعلة لا ارتباط معلول محدد بعلة محددة ، وانما ارتباط تفاعل كذلك ، مما يجعل من الثقافة نفسها عاملا موجهاً فعالا ، كذلك ، في العملية الأجتماعية نفسها (١) » .

إذن فنحن نستطيع أن نؤكد بثقة واطمئنان بأن وحدوية العلةفي تكوين الواقع الأنساني هي خرافة لا يقبلها القرن العشرون .

ولكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد ، فقول الأستاذ الشوباشي بكون الأقتصاد العامل الوحيد في الفكر والثقافة يستتبع نتيجة أخرى ولا شك ، وهي الصراع الطبقي ، الديالكتيكية المادية. وهاتان نظريتان يتبناهما الأستاذ الشوباشي بحماس ، وما كتابه « الفلسفة السياسية » الا محاولة مصممة لإثبات صحتهما. يقول الأستاذ الشوباشي في كتابه المذكور : « أن العامل الأساسي لتطور المجتمعات هو التناقض الكامن فيها » وان « سبب الحركة يرجع الى التناقض الكامن في الجسم المتحرك » وكل هذه المقدمات تؤدي بنا الى نتيجة محتومة وهي « أن التناقض الطبقي هو عامل التطور الأساسي فهو سبب الصراع الذي يؤدي الى تبدل الأوضاع الأقتصادية والإجتماعية » .

وعندما يقول الأستاذ الشوباشي في مقاله « بين الأدب والأقتصاد » : « ان كل نشاط فردي او اجتماعي يقوم على اساس اقتصادي مباشر او يتوخى هدفاً اقتصادياً » فهذا يعني – حسب منطقه – ان الصراع الطبقي هو العامل الأساسي ليس في تكوين الثقافة فحسب بل في تطوير جميع مرافق الحياة وفعالياتها ، لأن تطورات الاقتصاد ليست الا نتيجة الصراع الطبقي .

وأنا اعتقد أن هذه هي النتيجة التي يريد أن يتوصل اليها الأستاذ الشوباشي وإن لم يذكرها في مقاله . وهذا ما يؤكده في كتابه الآنف الذكر عندما يقول : « إن أهل الفن والأدب لجأوا في عهد الأقطاع الى الأمراء والأشراف ينتجون لهم ادب الزخرف والبهرج الذي يلائم ذوق اولئك السادة . فلما زال عهد الاقطاع توجه أهل الفكر والفن الى الطبقة الجديدة ذات السلطان والمال ، وأخذوا يعبرون ، وجلهم خرجوا من صلبها ، عن ميولها وهواياتها وقيمتها الجديدة المؤسسة على العصامية او تنازع البقاء لإفناء الأضعف وابقاء الاقوى »

ولن أعلق بشيء على هذا الكلام سوى بذكر هذه الحقيقة البسيطة وهي أن الصراع الطبقي قد يكون سائداً في بعض الدول الغربية في العصر الحاضر الا أن هذا لا يعني أن المجتمع العربي والمجتمعات البشرية الأخرى لم ولن تتطور الا لوجود التناقض الطبقي فيها . حقاً هناك طبقات وانفصال وتضارب في المصالح بين فئتين في المجتمع العربي : المستغلين (بالكسر) وهم الأقلية ، والمستغلين (بالفتح)وهم الأكثرية، غير أنهذا لا يعني أن مجتمعنا ينقسم الى بورجوازية تقابلها بروليتاريا أو اقطاعية يقابلها الفلاحون ، فالمجتمعات البشرية ليست ارقاماً حسابية نضربها ونطرحها ونقسمها ، انما يتعاون فلاحنا وعاملنا ومثقفنا وموظفنا وتاجرنا الصغير في جبهة واحدة ضد الرأسمالية والاقطاعية . فقضية الشعب العربي ليست في الصراع الطبقي وانما في التجزئة الأقليمية والاستعمار والاستثمار الداخلي ، ونحن لا نعاني مشكلة طبقة واحدة بل هي مشكلة أمة كاملة تريد التحرر والحياة لتؤدي الى العالم رسالتها .

لقد أوقع الأستاذ الشوباشي نفسه في خطأ لا يمكن التغاضي عنه ، لأنه عندما تكلم عن علاقة الأدب بالاقتصاد لم يستلهم واقع الأمة العربية ، وهذا أبسط ما تتطلبه الواقعية ، بل تبنى نظريات غربية وراح يطبقها على واقعنا بدون أن يتمثلها ويهضمها ويجعلها صالحة للمجتمع العربي .

والآن يحق لنا أن ننتقل الى القضية الرئيسية ونتساءل عن مدى علاقة الأدب والفكر بالاقتصاد وتقلباته . وأعتقد أن مثلا عملياً صغيراً يكون أثره حاسماً في مثل هذا الموضوع .

مما لاشك فيه ان الاتحاد السوفياتي هو الذي يدعم النظرية القائلة بأن الاقتصاد هو العامل الوحيد في تبديل اوضاع الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية ، وأن كل تغير في الرأس أي في الثقافة والفن يعني أن هناك تبدلا وتطوراً في القاعدة اي في الوضع الأقتصادي وقد تبنى هذه النظرية عدد لا بأس به من المفكرين في جميع أقطار العالم . وهنا لا بد لنا أن نتساءل : ترى من يسير الحياة في الاتحاد السوفياتي؟ الوضع الاقتصادي ام الفكر الماركسي ؟ وهل يستلهم الحكام السوفييت واقعهم الاقتصادي والأجتماعي في ادارة دفة البلاد أم أن جميع مظاهر النشاط الحياتي هي في خدمة النظرية الماركسية ؟ ان الأمر الذي اصبح حقيقة واقعة هو أن الاتحاد السوفياتي مر بتجربة حاول فيها أن يضع الشعب في خدمة النظرية بل حاول أن يفرض النظرية نفسها على جميع بلاد العالم . ولكن التجربة الصينية الإشتراكية ورد الفعل الذي ظهر في يوغوسلافيا احدثا انشقاقاً كبيراً في النظرية كان آخر آثاره المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي وحل الكومنفورم . فالحياة في الاتحاد السوفياتي لم تكن لتسير حسب سير الاقتصاد بل كانت النظرية الماركسية العامل الرئيسي في تطوير الحياة والاقتصاد السوفياتيين وليس العكس . وهكذا نلاحظ أن البلد الأول الداعي الى الفلسفة الاقتصادية المادية لم يحقق هذه الفلسفة بل كان عبداً للنظرية ، وهذا خير دليل على أثر الفكر في تغيير الواقع الأجتماعي والأقتصادي والسياسي .

كتب الدكتور محمد مندور في مجلة«الرسالة الجديدة» تحت عنوان « الثورة والأدب » يقول : « جاءني أحد الطلبة يطلب موافقتي على أن يكون موضوع رسالته الجامعية « ثورة ١٩١٩ وأثرها في الأدب » فناوأت الطالب قائلا : ولم لا يكون موضوعها « تأثير الأدب في ثورة سنة ١٩١٩ » وطلبت اليه اولا أن يفتيني فيما اذا كان الأدب هو الذي يخلق الثورة أم الثورة هي التي تخلق الأدب . والظاهر أن الطالب من المتأثرين بالفلسفة الاشتراكية ، وبالتالي بالمادية التاريخية لأنه لم يلبث أن رد قائلا : ان العوامل المادية هي التي تثير الثورات وتدفع الى تطور الانسانية . ولكني أجبته قائلا : ان هذا الرأي ضيق بل كثيراً ما يقصر عن تفسير احداث التاريخ الكبرى تفسيراً كاملا ، وذكرته بما يردده أنصار الفكر وتأثيره في تطورات التاريخ عندما يقولون : ان البؤس لا يحرك الشعوب ، وانما يحركها الوعي به » . لقد ذكرت هذا المقطع

(١) راجع كتاب « في الثقافة المصرية » – ص ١٩ وما بعدها .

لأثبت امرين : الأول وهو تأثير الفكر في تطور التاريخ والمجتمعات . والثاني هو ذلك الخلط الكامل العشوي بين الاشتراكية والمادية التاريخية ، مع أن الاشتراكية شيء والمادية التاريخية شيء آخر . ولكم أشعر بالأسف عندما أرى بعض ادبائنا يقعون ضحية الخلط بين هاتين الفلسفتين ، فيأخذون بالتكلم عن الصراع الطبقي ، ويرجعون جميع مظاهر الحياة الانسانية الى أسباب اقتصادية. ان الاشتراكية العربية التي نريدها ليست واسطة لإشباع الجياع وإلباس العراة فقط بل هي دين الحياة ، وظفر الحياة على الموت . فهي بفتحها باب العمل أمام الجميع ،وسماحها لكل مواهب البشر وفضائلهم أن تنفتح وتنطلق وتستخدم ، تحفظ ملك الحياة للحياة ، ولا تبقي للموت الا اللحم الجاف والعظام النخرة. ولا اكتم بعض الأدباء بأنهم يشوهون معنى الأشتراكية عندما يخلطون – عن عمد وغير عمد – بينها وبين المادية التاريخية .

وإذا قلنا ان كل مرحلة حضارية انما هي نتيجة حتمية لتبدل طرأ على الوضع الاقتصادي ، فنحن نتساءل : ما هو العامل الرئيسي في تكوين المعتقدات والآداب والفنون التي كانت سائدة في المرحلة البدائية الاولى من حياة البشرية ؟ وكيف كان الأدب ومن كان يوجهه ويؤثر فيه والمجتمع البدائي الأول لم يعرف الصراع الطبقي ولم تكن المشكلة الأقتصادية لتشغله ؟

ولنفرض أن أمة ما استطاعت أن تحقق المجتمع اللاطبقي فكيف سيكون أدبها وفنها ؟ وبما أن الفكر والفن يهدفان الى غاية اقتصادية وهما نتيجتان حتميتان للوضع الاقتصادي الذي يتشكل بدوره حسب ملابسات الصراع الطبقي ، وبما أن المشكلة الاقتصادية معدومة في المجتمع اللاطبقي ، فالنتيجة المعقولة والحتمية هي عدم حاجتنا الى الفكر والفن لأن وظيفتهما تكون قد انتهت ! ...

بل لنحتكم الى التاريخ ولننظر فيما اذا كان يثبت ما ذهب اليه الأستاذ الشوباشي عن علاقة الأدب بالاقتصاد .

لقد قدمت اليونان للعالم عدداً من المسرحيات العالمية على رأسها «اوديب». أما العرب فهم لم يتعاطوا هذا الفن قط في الماضي . فما هو العامل الاقتصادي الذي جعل الفن المسرحي يخصب في الأرض اليونانية ويجدب في الأرض العربية ؟ ولكن أحقاً كان الفن المسرحي الاغريقي نتيجة للوضع الأقتصادي ؟ ان الحقيقة التاريخية تفند ذلك ، فما من أحد يستطيع أن ينكر أن الشعائر الدينية هي الأساس في نشأة الفن المسرحي الاغريقي ، فقد اراد اليونان أن يمثلوا حياة الآلهة فأدى الى ذلك ظهور المسرح والمسرحيات . ومسرحية «اوديب» نفسها تعالج موضوعاً دينياً – مأساة الانسان أمام الأقدار – لا يمت الى الاقتصاد بصلة ، ولا أدري أي هدف اقتصادي ترمي اليه ؟

وبعد ، فنحن لم ننكر أبداً أهمية العامل الاقتصادي في تكوين الثقافات والمعتقدات، بل اننا نعي تماماً أن المشكلة الأقتصادية اليوم تكاد تكون أهم المشكلات اطلاقاً، ولا نرضى ابداً بانعزال الفكر والفن عن المعركة الأقتصادية؛ ولكن لا يعني هذا أن الثقافة عامل تابع للاقتصاد ، وأن العوامل المادية فقط هي المحرك الأساسي للتاريخ وتطور المجتمعات ، والا لعد أدب سارتر وكامو سخافات لا قيمة لها . والحقيقة أن هناك عاملا مهماً جداً يهمله الكثيرون وهو ارادة الانسان ، تلك الإرادة التي تصنع التاريخ ، والتي كان أبسن أحد القلائل من الذين استطاعوا الكشف عنها وتجسيدها .

ونحن نطالب بالواقعية ، ولكن الواقعية التي تنبثق من الواقع الفاسد لتنقلب عليه لا لتسايره .

حلب — **جورج طرابيشي**

حول المروحة ايضاً

بقلم ابو القاسم سعد الله

الأخ الكريم الأستاذ علي الحلي ثائر متحفز ، وهو في ثورته وتحفزه لا يعني شيئاً سوى أن لسان حاله يقول : انني أستطيع أن ابارز وأن اغلب وأن احطم .. وقد يكون في نفسه كذلك ، وقد يكون انساناً آخر هادئاً متزناً مضبوطاً ، ولكنه على كل حال لم يضرب مثلا واحداً على أنه ذلك الأنسان . وآية ذلك أنك لو سألته عن سبب هذه الثورة وهذا التحفز لأجابك كلامه بانه لم يستطع صبراً ازاء (الإهانة) الموجهة الى الأستاذ شاكر السياب بفصله عن قافلة شعراء الشعب ، وعملقة الأستاذ نزار قباني مكانه . ولذلك تفضل علي الأستاذ الحلي فعرفني بالشاعر العربي المكافح الملهم القومي .. بدر شاكر السياب ، ووضع امامي باقة من ازهاره الحسان ، وطلب مني أن اشم ، وأن اغرق أنفي في الرحيق .. وإلا فانا مزكوم ، او فاقد لحاسة الذوق الفني !

ولست الأن في معرض الدفاع عن نزار قباني ولا عن صلاح عبد الصبور او نازك الملائكة فان لكل منهم لسانه الطويل وقلمه الأطول .. وانما احب أن اسوق الحملة التي اثارت الأخ الحلي بهذا الصدد ، وهي : « نحن نحب نزار قباني حد الأعجاب ومحمد العيد والشابي وسليمان العيسى وغيرهم ممن عرفوا الطريق الى قلب الشعب اكثر مما نحب السياب ونازك الملائكة وصلاح عبد الصبور .. » ومن لي باقناع الأستاذ الحلي بان هذا الكلام لا يعني اطلاقاً ، التضحية باحد هؤلاء الشعراء على حساب الآخر ؟ انني لست مفاضلا ولا منتصراً لأحد ، ولكني كنت اقرر حقيقة واقعة لا مناص من البوح بها . ولو كان الأمر للاستفتاء والارقام ، لكانت النتيجة رائعة حقاً .. ان نزار قباني يعتبر مدرسة قائمة بذاتها في شعرنا العربي الحديث ، سواء في ذلك الشكل ، المضمون . ولئن اقتصر أكثر شعره على جانب واحد من المجتمع العربي وهو المرأة ، فان ذلك لا يقلل من اهمية هذا الاتجاه سيما وأن المرأة في الفترة العربية المعاصرة تعد منبعاً ثراً بالوحي والعطاء . وما اظنني أقصد التحدي حين

قريباً

الناس في بلادي

لـ ابي

اول ديوان

للشاعر المصري المجدد

صلاح الدين عبد الصبور

منشورات دار الآداب

ادعوك الى مقارنة (خبز وحشيش وقمر) او (قصة راشيل) لبزار قباني – وهما غير نسائيتين – بمناقشاه من اشعار الأخ السياب ، ثم أنظر أي الرجلين اكثر قراءة وتأثيراً

وصحيح أن الأستاذ السياب اكثر تنوعاً من حيث التناول إلا أنه – فيما يبدو – لا يفكر في الجيل القارئ ، وانما يستمع الى دقات الأجراس في واعيته هو . ومن هنا كانت صوره متداخلة في أغلب الأحيان ، وموسيقاه ترتج اكثر مما تنساب .

ولقد حاول الأستاذ الحلي أن يجرني الى الحديث عن الأدب الشعبي مرة ثانية ، وأن يطلعني على ما يجري في العراق من ادعاآت وزخارف باسم الشعب ولكنه في هذه المحاولة يبدو غير موفق . فأنا لم أدع أني وضعت خططاً معينة للادب الشعبي ولا للشعر الشعبي ولم أجبه القارئ بقيم استبدادية مخيفة ، ولم أفرض رأيي على احد ، حتى يقول الأخ الكريم : « ولكني أشهد أنني اليوم أمام آراء مخيفة وقيم استبدادية في الإتجاه الأدبي بما يعرضها علينا الأخ ابو القاسم .. » وغاية ما قلت : « ان الاسلوب الذي اخترته لنفسي يقوم على : ١ – الاندفاع والحيوية . ٢ – النغم الموسيقي . ٣ – استعمال الألوان المضبة . ٤ – الاثارة عن طريق الطبيعة النفسية ، وهي ركائز تحافظ على الأصل الشعري في الوقت الذي تتعمق الناحية الأنسانية من عاطفة ووجدان وارادة وحواس..» بل اني قلت بصدد الحديث عن الأدب للشعب : « والحق أن هذه المسألة لم تصر واضحة المعالم بعد ، بل ما تزال مكتنفة بالغموض شأنها في ذلك شأن كل فكرة جديدة » فاين هي الآراء المخيفة او القيم الاستبدادية التي تطالعك من هذا الكلام يا أخي ؟ !

وتمتد ثورة الأخ الحلي الى (المروحة) فيقول : فالقصيدة ذاتها أعني « المروحة » محملة باشياء كثيرة متضادة بالألفاظ والأحاسيس المترفة والارتعاشات الناعمة المنسرحة .. » الخ . وبالرجوع الى الجو الأسطوري للقصيدة نجد أن طبيعة الحكاية تقتضي هذه المشتهيات والمغريات الوجدانية ، وموسقة البداية لتعد الحواس للتفاعل والمنح ، وعندما تجيء الاندفاعة يحدوها النغم الحاد الجارف تكون تلك الحواس قد تهيأت طبيعياً الى الإلتذاذ بمعطيات الخيال الملون ، حتى اذا جاء القرع الارادي الزاخر بالمنبهات والدغدغات ، كانت التجربة قد شارفت النهاية ، وأدت للحواس حرارتها واشبعتها لذة وانفعالا . ولذلك كان المقطع الأخير هدهدات حائرة يمكن ان تكون ازعاجاً قاتلا أو طمأنينة ناعمة حيه . هذا هو باختصار التسلسل التجريبي في الأسطورة . والحكم بنجاحه أو فشله ليس لي ولا لك وأنما هو للقارئ والناقد معاً . بقي أن اشير الى شيء ، وهو أنني أقر الأخ الكريم على جمود عبارة « صاحب الأمر العلي » اذا عدنا بها الى التاريخ وفصلناها عن الحكاية . ولكني لا أقره على انها بقيت كذلك حين استعملت في مكانها من القصيدة ، لأنها كالوثيقة التاريخية يجب أن تثبت كاملة او تحذف اصلا ، ويبدو أن اثباتها اكسبها رعشة وحرارة اضافتا عمقاً جديداً الى العنصر الأسطوري . وقد كان التعبير « الكلب تنكر للكلبة » شائعاً وسخيفاً ولكن حين استعمله الأخ السياب في احدى قصائده – اظنها أغنية في شهر آب – أسبغ على جوها ملمحاً طريفاً فكهاً . وأما عبارة « في يد الدالي المتوج » فارجو أن تقرأ هكذا « في يد الداي المتوج » لأن اللقب كذلك .

وأحب أن اطمئن الأستاذ الحلي على شيء جعله هو حصيلة مناقشته ، وهو أن آرائي ونظرياتي لا ترفض الشعر الجاهلي ولا الشعر العباسي ولا حتى المعاصر بل تدعو في حرارة الى تعمق حياتنا ، وبعثها بعثاً قومياً عربياً حراً تجابه به الاصطراع الدامي الذي يكتنفها من كل جانب .

وبعد ، فأنا ايها الأخ أتقبل المناقشات الحرة بنفس الروح التي رجوتني أن اتقبلها بها شرط أن يكون صاحب هذه المناقشات مزوداً بالسلاح والذخيرة ! .

وتقبل تحياتي وشكري . أخوك :

القاهرة **ابو القاسم سعد الله**

الصين

في موكب النور

مارسيل كاشان كلود روا

هنري دنيس الدكتور اويلستنز

ترجمة ميشال سليمان

اربعة كتاب كبار يساهمون في كتاب رائع

- لوحة تصور جميع ما في الشعب الصيني العظيم من امكانيات ومزايا
- قصة اكبر تحوّل لأكبر شعب في العالم
- تفاصيل عن جميع ما حققه الشعب الصيني العظيم من مكاسب جبارة في بناء الحياة الحرة الكريمة

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

الثمن ١٠٠ ق.ل

اليوم في المكتبات

القسم الخامس

من كتاب

رأس المال

كارل ماركس

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

الثمن ٣٠٠ ق.ل